قحطان الشعبي.. أول رئيس جمهورية للشطر الجنوبي بعد الاستقلال

الرئيس قحطان لدى نزوله من سلم الطائرة في مطار عدن صباح يوم الاستقلال

صباح يوم الاستقلال بمطار عدن، من اليسار: قحطان ثم علي سالم البيض ثم عبدالملك اسماعيل عضوا القيادة العامة للجبهة القومية

موكب الزعيم قحطان عقب مغادرته مطار عدن صباح يوم الاستقلال

عدن مساء يوم الاستقلال، من اليسار: سيف الضالعي ثم قحطان ثم عبدالله الخامري ثم سلطان احمد عمر ثم فيصل عبداللطيف ثم محمد علي هيثم

الرئيس قحطان يستعرض جيش البادية الحضرمي، 1968م

قادة الرابطة مع الزعيم العراقي عبدالكريم قاسم، من اليمين قحطان، محمد علي الجفري السلطان المخلوع حينها علي عبدالكريم، وشيخان الحبشي 1959 م

الرئيس قحطان وإلى اليسار العقيد حسين عثمان عشال القائد العام للقوات المسلحة، 1969م في زيارة لأحد المواقع في الأطراف

الرئيسان قحطان الشعبي وجوزيف بروز تيتو

يؤدي مع الرئيس عارف صلاة الجمعة ببغداد

العراقيون يرحبون بالرئيس قحطان الشعبي

إعداد/نجيب قحطان الشعبي

ولد قحطان محمد الشعبي في عام 1923م في قرية "شعب" بمنطقة "الصبيحة" (بمحافظة لحج حالياً) ولم ير "أباه قط فقد ولد يتيماً حيث توفي والده قبل اشهر من ولادة قحطان كفله بالرعاية قريبه الشيخ عبدالطيف الشعبي شيخ "وادي شعب" وهو والد الشهيد المناضل فيصل

وقحطان هو ثالث أخوته، حيث يكبره شقيقان هما سعيد ، وقد توفي في سن الشباب، ومريم وقد توفيت في ثمانينات القرن الماضي بعد رحيل قحطان عن الدنيا

ينتمي قحطان لأسرة فقيرة مثل جميع اسر منطقة قبائل الصبيحة بما في ذلك المشايخ الذين كانوا هم الآخرون فقراء

في سن الطفولة قام قحطان برعي الأغنام في وادي شعب، وعندما كبر قليلا انزله الشيخ عبداللطيف إلى عدن للدراسة

ـ في البداية تعلم قحطان في وادي شعب القراءة والكتابة وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، وعندما كبر قليلا وأنزله الشيخ عبداللطيف إلى عدن الحقه بالدراسة في "مدرسة جبل حديد" التي كانت تعرف ايضاً بـ "مدرسة أولاد الأمراء" وأحيانا تعرف بـ"مدرسة أبناء الشيوخ" لوجود عدد من أبناء السلاطين يدرسون بها كما ضمت عدداً من أبناء أهم الشيوخ ، وهذه المدرسة هي أشهر مدرسة في تاريخ عدن حتى اليوم ولا تزال معالمها قائمة.

ـ في أوائل الأربعينات من القرن المنصرم توجه قحطان في بعثة دراسية إلى السودان ، وكان التعليم الجامعي هناك متطوراً لوقوعه تحت إشراف السلطات البريطانية حيث كان السودان يرزح حينئذ تحت الاحتلال البريطاني، واكمل قحطان تعليمه بتخرجه مهندساً زراعياً في كلية الزراعة بالخرطوم.

ـ مارس العمل السياسي وهو في سن الشباب عندما كان طالباً جامعياً بالسودان فقد أظهرت ووزع المنشورات المعادية للاحتلال البريطاني للسودان وتعرض جراء ذلك لاعتقال والضرب مرارا.

ـ بعد تخرجه عادالى عدن ومارس العمل في مجاله كمهندس زراعي، وعمل لفترة مديراً للزراعة (وزيراً للزراعة) في أبين، وفي بداية الخمسينات من القرن الفائت انتقل للعمل في المنطقة الشرقية من الجنوب أي حضرموت حيث عمل ناظراً للزراعة (أي وزيراً للزراعة) لسلطنتي حضرموت وهما القعيطية والكثيرية، وفي أواسط الخمسينات عاد إلى ما كان يعرف بسلطنة لحج المجاورة لبلاد قبائل الصبيحة ، وفي السلطنة اللحجية التي كانت تعرف أيضا بالسلطنة العبدلية عمل قحطان مديراً للزراعة اي وزيراً للزراعة بالسلطنة.

ـ تفوق قحطان في مجال عمله وهوما أتاح له خلال سنوات قليلة ان يمنحه البريطانيون في عدن درجة وظيفية رفيعة كانت هي الأعلى على الاطلاق ولم يكن حينها يحملها من ابناء الجنوب سوى ثلاثة فقط احدهم هو قحطان الذي كان اصغرهم سناً وكان ذلك يثير عليه غيرة وحسد الآخرين، ويجب ان نعلم بأنه في عهد الاستعمار البريطاني كان للدرجات الوظيفية والرتب العسكرية والاوسمة قيمة عالية فلم تكن تمنح إلا لاعتبارات موضوعية ووفق شروط صعبة ودقيقة.

ـ في مطلع الخمسينات من القرن العشرين اصبح قحطان الشعبي واحداً من مؤسسي "رابطة ابناء الجنوب" التي اعتبرت حينئذ حزبا تقدمياً ووحدوياً فقد كانت تطالب باستقلال الجنوب ووحدته وهي دعوة تعد متقدمة مقارنة بما كانت بعض احزاب عدن تدعو اليه من استقلال لعدن وحدها ومنحها حكماً ذاتياً يؤدي الى قيام دولة في عدن فقط !!زعم محمد علي لقمان هذه الدعوة ووضع كتاباً بعنوان "عدن تطلب الحكم الذاتي"! وكان هو وولده علي يتبنيان فكرة "القومية العدنية"!!)

ـ مع ازدياد النشاط السياسي لقحطان كقيادي رابطي مناهض للاستعمار دخلت القوات البريطانية في عام 1958م الى "الحوطة" عاصمة سلطنة لحج لاعتقاله ولحسن الحظ كان حينها موجوداً في عدن فاتجه الى منطقة "الوهط" القريبة من "الحوطة" ونزل عند اصدقاء حميمين له لساعات ومن ثم غادر الى تعز في المملكة المتوكلية اليمنية ، ومن تعز اتجه للقاهرة طالبا اللجوء السياسي

ـ أسس المناضل فيصل عبداللطيف الشعبي فرع حركة القوميين العرب في اليمن عام 1956م عندما كان طالبا بالثانوية في مصر، وانضم قحطان وآخرون الى الحركة بشكل سري.. وفي عام 1960م استقال قحطان وزملاؤه من الرابطة وبينهم سيف الضالعي وعلي احمد السلامي وطه مقبل وسالم زين محمد وعلي محمد الشعبي واحمد عبده جبلي وعبدالكريم سروري وغيرهم ، واوضح بيان استقالتهم الاسباب التي كان من اهمها أن الرابطة انحرفت عن المبادئ والاهداف القومية وذلك لاحيائها الدعوة الانفصالية القديمة التي كانت تهدف لاقامة دولة مستقلة بعدن والامارات وليست يمنية الهوية.

ـ في أكتوبر 1959 وضع قحطان وفيصل كتيباً باسم حركة القوميين العرب بعنوان" إتحاد الامارات المزيف مؤامرة على الوحدة العربية" يعتبر أهم وثيقة سياسية وطنية خلال مرحلة الاحتلال البريطاني لجنوب الوطن، وفي هذا الكتاب ظهرت أول دعوة لانتهاج الكفاح المسلح كوسيلة لتحرير الجنوب.

ـ في مايو 1962م صدر لقحطان كتابه الشهير "الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن" (وهو أهم مرجع للباحثين عن حقائق أوضاع جنوب اليمن في زمن الإحتلال البريطاني) وكرر فيه دعوته القديمه لإقامة الجبهة القومية على مستوى جنوب اليمن وشماله لتعمل على إقامة نظام جمهوري في الشمال اليمني ومن ثم الإنطلاق لتحرير الجنوب اليمني من الاستعمار البريطاني وهذا الكتاب نشر قبل 26 سبتمبر 1962م بنحو اربعة أشهر ، وعقب 26 سبتمبر 1962م انتقل قحطان من القاهرة الى صنعاء وعين مستشاراً للرئيس الراحل عبدالله السلال لشؤون الجنوب المحتل كما عين رئيساً لمصلحة الجنوب بصنعاء، (أو ماكان يعرف بمكتب الجنوب بصنعاء).

ـ في فبراير 1963م تراس اجتماعاً لعدد كبير من ابناء الجنوب الاحرار المتواجدين في الشمال، واعقب ذلك بيان بقيام جبهة لتحرير جنوب اليمن المحتل وهي التي اصبح اسمها لاحقا الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل والتي اصبح قحطان اميناً عاما لها وظل في هذا الموقع حتى تحقق الاستقلال في 30 نوفمبر 1967م وظل فيه وهو رئيس لدولة الاستقلال (جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية) وحتى استقالته في 22 يونيو 1969. وقام أثناء حرب التحرير بتمثيل الجبهة القومية في كثير من المؤتمرات وفي كثير من الزيارات للدول العربية والصديقة المؤيدة لثورات التحرر الوطني وكانت الجبهة قد تشكلت من عدد من المنظمات السرية في الجنوب اهمها فرع حركة القوميين العرب بقيادة فيصل عبداللطيف.

ـ في 14 أكتوبر1963 هاجمت القوات البريطانية الشيخ راجح غالب لبوزة ومجموعته من آل قطيب بردفان العائدة من الجمهورية العربية اليمنية بعد مشاركتها في القتال في الصف الجمهوري. واستشهد لبوزة في ذلك الهجوم واندلعت انتفاضة قبلية في ردفان ضد القوات البريطانية فأعلن قحطان الشعبي باسم الجبهة القومية الكفاح المسلح لتحرير الجنوب. وقام بتوفير الدعم بكافة اشكاله للمقاتلين في اول جبهة قتال وهي ردفان.. واوصل بنفسه أول قافلة دعم الى جبهة ردفان وشارك في عدد من معارك جبهتي ردفان والضالع.

ـ في 13 يناير 1966 وبترتيب من المخابرات العامة المصرية بقيادة صلاح نصر تم الإعلان عن قيام تنظيم سياسي جديد هو "جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل" التي ضمت عدداً من السلاطين والأمراء السابقين وبعض الشخصيات السياسية التي عارضت أسلوب الكفاح المسلح عندما بدأت ثورة 14 أكتوبر، وبموافقة وتوقيع عضو واحد من قيادة الجبهة القومية تم ضم الجبهة القومية إلى جبهة التحرير. فأعلن قحطان الشعبي من القاهرة عدم شرعية ضم الجبهة القومية إلى جبهة التحرير وأن تلك مؤامرة للقضاء على الجبهة القومية بعد أن أخذت الثورة المسلحة في الجنوب تحقق المزيد من الانتصارات وعلى إثر ذلك احتجزته السلطات المصرية (منعته من مغادرة مصر) كما احتجزت رفيق دربه فيصل عبداللطيف.

ـ بعد نحو 9 أشهر من إحتجازه تمكن فيصل من تضليل الأجهزة المصرية وغادر الى بيروت ومنها عاد عبر تعز إلى الجنوب وعقد المؤتمر الثالث للجبهة القومية في منطقة "حـ مر" باليمن الشمالي والقريبة من "قعطبة" وأقر المؤتمر فصل الجبهة القومية عن جبهة التحرير، وظل قحطان محتجزاً بمصر حتى وقعت الهزيمة المصرية السورية الأردنية امام إسرائيل في حرب 5يونيو1967 فاعادت القاهرة النظر في سياساتها الداخلية والخارجية واستقبل الرئيس المصري جمال عبدالناصر قحطان الشعبي واعتذر له عن إحتجازه بمصر وعن الموقف المصري من الجبهة القومية ممثلا المسئولية لصلاح نصر لانه كان يضلله بمعلومات خاطئة عن الجبهة القومية وعن ما يحدث في الجنوب. ومن ثم سمح عبدالناصر للشعبي بمغادرة مصر فغادرها في أغسطس 1967 إلى الجنوب عبر تعز ومصطحباً معه العضو القيادي بالجبهة القومية عبدالفتاح اسماعيل الذي كان قد إنضم إلى جبهة التحرير وهجر اليمن جنوبا وشمالا في شهر مايو1966 واستقر في العاصمة المصرية رافضا حتى العودة لليمن للمشاركة في أعمال المؤتمر الثاني للجبهة القومية المنعقد في "جبلة" باليمن الشمالي في يوليو1969 والمؤتمر الثالث المنعقد في "حـ مر" في نوفمبر1966!!

ـ منذ يونيو1967 أخذت الجبهة القومية بالاستيلاء على في السلطة في السلطنات والامارات والمشيخات فيما لم تنجح جبهة التحرير في الاستيلاء على السلطة في أي منطقة فقام مقاتليها في عدن بمهاجمة رجال الجبهة القومية في 7نوفمبر 1967 واستمر الاقتتال الأهلي بين الجبهتين في عدن إلى 30نوفمبر عندما شارك الجيش العربي في القتال في صف الجبهة القومية التي كان لها تنظيم واسع داخل الجيش وهو ما كانت تفتقده جبهة التحرير ولقيت جبهة التحرير هزيمة فادحة في الاقتتال الأهلي وهربت فلول مقاتليها إلى اليمن الشمالي.وهكذا سيطرت الجبهة القومية في 6نوفمبر 1967 على كامل أرجاء عدن (باستثناء الأماكن التي تجمع فيها البريطانيون) وكانت من قبل قد أستولت على السلطة في السلطنات والامارات والمشيخات فاعترف البريطانيون بأن "الجبهة القومية صارت هي الحكومة الفعلية في الجنوب العربي". وتراس قحطان الشعبي وفد الجبهة القومية الى مباحثات الاستقلال بجنيف امام الوفد البريطاني برئاسة اللورد شاكلتون وضم وفد الجبهة القومية كلا من: فيصل عبداللطيف، سيف الضالعي، خالد عبدالعزيز، عبدالله صالح العولقي (سبعة)، عبدالفتاح اسماعيل ومحمد احمد البيحني... وكان أحمد علي مسعد الشعبي سكرتيراً للوفد .. كما رافق الوفد عدداً من المستشارين في الشؤن العسكرية والمالية والإقتصادية والقانونية.

ـ بدأت مباحثات الاستقلال في 21 نوفمبر 1967، وفي صباح28نوفمبر عقدت الجلسة الأخيرة واستمرت طوال النهار والليل إلى اليوم التالي. وفي ظهر 29 نوفمبر 1967 دعي الصحفيون ومراسلو وكالات الأنباء للدخول إلى القاعة التي عقدت فيها مباحثات الإستقلال ليشهدوا اللحظة التاريخية لحظة توقيع قحطان الشعبي ولورد شاكلتون على إتفاقية استقلال جنوب اليمن وذلك بعد احتلال بريطاني للجنوب دام نحو 129 عاما بدأ باحتلال عدن في 19 يناير 1839 وانتهى بخروج آخر قوات للاحتلال في 29 نوفمبر 1967م من عدن والجنوب بهزيمة لم تشهد بريطانيا مثيلا لها في أية مستعمرة لها في العالم.

ـ في صباح يوم الاستقلال 30نوفمبر 1967 إزدحمت ساحات وشرفات مطار عدن وماجاوره من طرقات بعشرات الألوف من الرجال والنساء الذين قدموا من مختلف مناطق الجنوب لإستقبال قحطان الشعبي والوفد العائد من جنيف بعد أن إنتزع من الوفد البريطاني إستقلالا كاملا على مستوى السيادتين الداخلية والخارجية وقالت وكالات الأنباء بأن الشعب استقبل في عدن قحطان الشعبي كبطل تاريخي، وعلى طول الطريق من مطار عدن يحي كور مكسر الى مقر الحكم يحي التواهي (مقر المندوب السامي البريطاني سابقاً) اكتظ جانبي الطريق بالجماهير التي أخذت تهتف بحياة قحطان الشعبي والجبهة القومية.

ـ في يوم الإستقلال انتخبت القيادة العامة للجبهة القومية المناضل قحطان الشعبي رئيسا لجمهورية اليمن الجنوبية الشعبية وكلفته بتشكيل الحكومة واعلان الاستقلال رسمياً.

ـ في مساء يوم الإستقلال أقيم حفل جماهيري ضخم جداً في مدينة الإتحاد (مدينة الشعب لاحقا) القى فيه الرئيس قحطان الشعبي بيان إعلان الإستقلال , وفي نفس اليوم شكل حكومة مصغرة من 13 وزارة برئاسته.

ـ نتيجة التآمر الداخلي الذي -تعرضت له دولة الإستقلال من قبل "اليسار الطفولي" في التنظيم السياسي الحاكم الجبهة القومية قدم الرئيس قحطان الشعبي إلى القيادة العامة للجبهة القومية إستقالته من كافة مناصبه في 22يونيو1969 وكذلك استقال فيصل عبداللطيف الذي كان قد تولى رئاسة الحكومة في ابريل 1969. وقام في عدن نظام حكم اشتراكي فوضوي وبخاصة في حقبة السبعينات من القرن الفائت. واحتجز قحطان وفيصل في منزليهما لفترة قصيرة ثم نقلا إلى "معتقل الفتح "بحي التواهي بعدن في أواخر مارس1970 حيث جرى في مطلع ابريل1970 اغتيال المناضل فيصل في زنزانته فيما نقل المناضل قحطان إلى كوخ خشبي بمنطقة دار الرئاسة وظل معتقلا إنفراديا بدون محاكمة أو تحقيق أو حتى تهمة حتى أعلنت السلطة في عدن عن وفاته في 7/7/1981 (عن 57 عاما) وكانت أسرته قد تعرضت للمزيد من المضايقات في 1976م فأخذت منذ هذا العام في الهروب من الجنوب واحدا بعد الآخر (أسوة بمئات الألوف من شعب الجنوب اليمني الذين تمكنوا من الفرار من البلد الذي كان حينئذ بمثابة سجن كبير).

ـ إتسم عهد الرئيس قحطان الشعبي بالاعتدال وكان إشتراكياً معتدلا على طريقة الإشتراكية العربية في مصر والجزائر، وكان عهده عهداً أبيضا فلم تزق فيه قطرة دم غيلة، ورفض الرئيس قحطان تنفيذ حكم الإعدام بحق عدد من سلاطين وحكام العهد الاستعماري حوكموا بعد الإستقلال حضوريا امام محكمة أمن الدولة بعدن فقضت بإعدامهم وأصر اليساريون المزايدون في القيادة العامة للجبهة القومية على تنفيذ الإعدام لكن الرئيس رفض ولجأ لإختصاصاته كرئيس للجمهورية وخفف الحكم إلى السجن لمدة 10 أعوام.

ـ هذا وقد فشلت كل الجهود والوساطات التي بذلها لدى عدن كثير من الحكام العرب لإطلاق سراح قحطان الشعبي من معتقله.

ـ رفض بعض أعضاء المكتب السياسي للحزب الإشتراكي اليمني (الذي تأسس في 1978 كبديل للجبهة القومية) إخراج جنازة لقحطان الشعبي لكن "الشهيد علي عنتر نائب الرئيس علي ناصر محمد أصر على إخراجها وفرض إرادته، وشاركت جماهير غفيرة في السير خلف الجنازة بينهم مئات من مناضلي حرب التحرير الذين كانو قد تواروا في زمن الحكم الماركسي فقدموا من مختلف المحافظات ليودعوا الرجل الذي قادهم في مرحلة حرب التحرير، وجرى دفن جثمان الشهيد قحطان في مقبرة الشهداء بحي "كريتر".

ـ زوجة الشهيد الرئيس قحطان محمد الشعبي هي الشقيقة الوحيدة للشهيد المناضل فيصل عبداللطيف الشعبي، وقد توفيت إلى رحمة الله في صنعاء في عام 1998م. وقد انجبت له: نجيب ، ناصر ، آمال ونبيل.